مختصر في أهم وجوه التصنيف في السنة النبوية

(كتب الرِّواية)

ويمكن تقسيمها باعتبارات متعددة ، تختلف بحسب اختلاف معيار التصنيف:

وإنما رأيت كتابتها على هذا النحو ؛ لأن التقسيم المشهور غير منضبط ، وتداخلت في معايير التقسيم دون التنبيه على هذا التداخل ، وبإطلاقات أوهمت خلاف الحقيقة : مثل تصور أن كل كتاب سُمي بـ(السنن) فهو مختص بالأحكام ، وكل كتاب سُمي بـ(المسند) فهو مرتب بحسب أسماء الصحابة ، وهذا غير صحيح . ثم ذلك التقسيم التقليدي لا يلقي الضوء على أهم الفروق بين وجوه التصنيف في السنة ، واستبعد وجوها في التصنيف في السنة هو من أهم خزائن الرواية المهمة ككتب التراجم المسندة .

- قيامها على اعتبار من ينتهي إليه الإسناد :

١- ما تضم المرفوع والموقوف والمقطوع : بدءا بالموطأ للإمام مالك والجوامع الأولى (كالجامع للثوري وابن وهب ومعمر) والآثار لأبي يوسف ومحمد بن الحسن ، والمصنفات (لحماد بن سلمة وعبد الرزاق وابن أبي شيبه) والسنن لسعيد بن منصور ، والأوسط لابن المنذر ، والسنن الكبرى للبيهقي ، وعامة الكتب التي في أبواب خاصة وموضوعات مفردة : ككتب الزهد والأحكام المفردة ، وكتب

الأخلاق والآداب ، ومجموع كتب ابن أبي الدنيا ، ومن نسج على منواله : قبله وبعده .

٢- ما تختص بالمرفوع (ولا تخلو من قليل من الموقوفات) : المسانيد ، ومعاجم الصحابة ، وكتب الجوامع من الأمهات الست (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي في الكبرى) ، والسنن (لأبي داود وابن ماجه والدارمي والدارقطني) ، وشرح معاني الآثار للطحاوي .

***

- باعتبار منطلَق الترتيب : هل هو الموضوعات أم غيرها :

١- الموضوع : وهي الكتب التي اعتمدت موضوع الحديث أساسًا في الترتيب ، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، بحسب طريقة شمول جَمْعها أو اختصاصها :

أ - فمنها الشامل لجميع أبواب العلم .

ب - ومنها المختص بأحاديث الأحكام .

ج - ومنها المختص بأبواب خاصة من أبواب العلم .

أ - فالشاملة : كالموطأ للإمام مالك والجوامع الأولى (للثوري وابن وهب ومعمر) والمصنفات (لعبد الرزاق وابن أبي شيبة) ، والسنن لسعيد بن منصور ، وكالصحيحين وجامع الترمذي والسنن الكبرى للنسائي وصحيح ابن خزيمة وابن حبان ومستدرك الحاكم . وكتب الزوائد للهيثمي وابن حجر والبوصيري ،

وبعض كتب الجمع المتأخرة كـ(جامع الأصول) لابن لأثير ، و(كنز العمال) للمتقي الهندي ، وكثير سواهما .

ب – المختصة بالأحكام :

- ككتب الفقه المسندة كالأصل لمحمد بن الحسن الشيباني ، والحجة على أهل المدينة له ، والأم للإمام الشافعي ، والأوسط لابن المنذر ، والمحلى لابن حزم.
- وكتاب الآثار لأبي يوسف وكتاب الآثار لمحمد بن الحسن .
- وكتب السنن : ككتاب أبي داود وابن ماجه ، ومسند الدارمي ، والمنتقى لابن الجارود، وشرح معاني الآثار للطحاوي ، والسنن للدارقطني ، والسنن الكبرى للبيهقي ومعرفة السنن والآثار له والخلافيات له .
- وكتب شروح الحديث المسندة : كأعلام الحديث ومعالم السنن للخطابي والاستذكار لابن عبد البر .
- كتب متون أحاديث الأحكام المتأخرة المحذوفة الأسانيد : كالأحكام الكبرى والوسطى والصغرى لعبد الحق الإشبيلي ، وعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي ، والمنتقى للمجد ابن تيمية ، والإمام ومختصره الإلمام لابن دقيق العيد ، وبلوغ المرام لابن حجر .

ج – المختصة بباب معيَّن من أبواب العلم : وهي كثيرة جدا ، تستوعب عامة أبواب العلم : في العقائد ، والأحكام ، والفضائل ، والترغيب والترهيب ،

والزهد ، والتفسير وعلوم القرآن ، والسيرة النبوية . وكتب الأربعينيات المختصة بموضوع معين ، (كالأربعين في الحث على الجهاد لابن عساكر ، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين لأبي منصور ابن عساكر الدمشقي ، والأربعين على مذهب المتحقّقين من الصوفية : لأبي نعيم الأصبهاني) ، أو الأربعينيات المختصة بصفة جامعة متعلقة بمتون الأحاديث (كجوامع الكلم في الأربعين النووية).

ويدخل فيها : كتب علوم الحديث : قديمها وحديثها ، المفرد منها والملحق بكتاب ، العامة منها والخاصة بمسألة من مسائله ونوع من أنواعه : بدءا بالرسالة للإمام الشافعي (وهو أول تنظير مكتوب لعلوم الحديث) إلى رسالة تلميذه الحميدي ، إلى مقدمة الإمام مسلم لصحيحه ، ورسالة أبي داود إلى أهل مكة ، والعلل الصغير للترمذي ، ومقدمة صحيح ابن حبان ، والمحدث الفاصل للرامهرمزي ، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ، ومقدمة الإرشاد للخليلي ، مقدمة التمهيد لا بن عبد البر ، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ، والكفاية للخطيب، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع له ، وبقية كتبه المفرقة في مسائل علوم الحديث . إلى ما بعد ذلك من كتب علوم الحديث .

٢- التراجم :

أ- الصحابة : المسانيد ومعاجم الصحابة ومعرفة الصحابة وكتب الأطراف، وكتب متفرقة أخرى : كالعلل للدارقطني ، والمختارة للضياء ، وبعض كتب الجموع المتأخرة : كـ(الجمع بين الصحيحين) للحميدي ، و(جامع

المسانيد) لابن الجوزي ، و(جامع المسانيد والسُّنن الهادي لأقوم سَنن) لابن كثير .

ب – الشيوخ : المشيخات ، ومعاجم الشيوخ (إذا التزمت في الترتيب اسم الشيخ ، لا بلده) ، والتمهيد لابن عبد البر الذي شرح كتاب الموطأ مرتبا على حسب اسم شيخ الإمام مالك ، وهو خزينة روائية ثمينة .

ج – الرواة : كتب التراجم المسندة . ونخص هنا بالذكر تلك التي تكثر فيها خدمة الرواية بالإسناد وغيره :

- كالطبقات الكبرى لابن سعد ، والتاريخ الكبير للبخاري (وهو يسند وينبه على العلل) ، والتاريخ لابن أبي خيثمة ، وأنساب الأشراف للبلاذري .
- والتواريخ البلدانية (تاريخ بغداد ودمشق وأصبهان وغيرها كثير جدا) .
- والضعفاء الموسعة (للعقيلي وابن حبان وابن عدي) .
- وكتب المتشابه المسندة كـ(المؤتلف والمختلف) للدراقطني ، و(تصحيفات المحدثين) لأبي أحمد العسكري ، و(تلخيص المتشابه في الرسم) و(تاليه) للخطيب .
- و(المتفق والمفترق) للخطيب .

- كتب التراجم المختصة : كحلية الأولياء لأبي نعيم وسير السلف الصالحين لأبي القاسم التيمي .

- وكتب الأربعينيات القائمة على انتقاء إسنادي (متعلق بالإسناد) : كالشيوخ ، أو البلدان ، أو العلو ، أو الصحابة ، ونحو ذلك . ككتاب الأربعين البلدانية لأبي طاهر السلفي ، والأربعين البلدانية لابن عساكر ، والأربعين في شيوخ الصوفية لأبي سعد الماليني ، والأربعين العشارية : للحافظ زين الدين العراقي .

٣- حسب الترتيب المعجمي لألفاظ متن الحديث : مسند الفردوس لأبي منصور الديلمي ، وكتب الجمع المتأخرة كـ(الجامع الصغير) و(زيادته) و(الجامع الكبير – قسم الأقوال –) للسيوطي ، وكتب الأحاديث المشتهرة على الألسن ، فعامتها مرتبة ترتيبا معجميا حسب لفظ الحديث : مثل (المقاصد الحسنة) للسخاوي ، و(كشف الخفاء) للعجلوني .

٤- أن يفقد الكتاب الترتيب تماما : فلا يكون له أي ترتيب معين . وهذه الكتب هي عبارة عن جمع الراوي لحديثه كله أو بعضه في نسخة واحدة . وهي أول طرق التدوين في السنة ، وأقدمها ظهورا ، واستمرت خلال قرون الرواية . وتَسَمّت مؤخرا بكتب (الأمالي) و(الفوائد) ، أو حديث (فلان) ، وبقي الاسم القديم حاضرا ، فيقولون (نسخة فلان) .

***

- باعتبار الحكم على الحديث أو تقريب الحكم عليه :

١- كتب الصحاح : البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان والمستخرجات عليها والمستدركات عليها (كالإلزامات للدارقطني ومستدرك الحاكم والمختارة للضياء).

٢- ملحقة بالصحاح ؛ لأن تتضمن في عامتها حكما بالصحة : الموطأ للإمام مالك، والسنن للنسائي ، وأصول أحاديث كتاب (تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار) لابن جرير الطبري ، وأصول أحاديث (شرح مشكل الآثار) للطحاوي ، وما يحتج به ابنُ حزم في (المحلى) .

٣- كتب الانتقاء ؛ وهي التي أَصْلُ شرطها إخراج أصح ما في الباب (ولا يلزم منه أن يكون مقبولا) : وهو الأصل في مشاهير الكتب المبوبة في القرن الثالث وما بعد : كسنن أبي داود ، ومسند الدارمي ، وجامع الترمذي ، وشرح معاني الآثار للطحاوي ، وعموم مصنفات البيهقي (حسب ما اشترط على نفسه) ، ويندرج تحتها كتب لبعض أكابر الأئمة : كمسند الإمام أحمد ، ومصنفات الإمام البخاري في الأبواب المختصة – دون التراجم كالتواريخ – (كرفع اليدين ، والقراءة خلف الإمام ، والأدب المفرد ، وخلق أفعال العباد ، وبر الوالدين) .

بل لا تخلو عموم كتب أئمة النقد الأوائل من ملحظ الانتقاء ، ولم يخل منه حتى كتاب مثل مسند البزار ، رغم عنايته بالغرائب والعلل .

٤- كتب الحكم بالضعف بدرجاته :

- ككتاب (المراسيل) لأبي داود .
- وكتب الضعفاء الموسَّعة (للعقيلي وابن حبان وابن عدي) .
- وكتب العلل (من ابن المديني إلى الدارقطني) .
- كتب الإدراج : للخطيب ، والسيوطي .
- مختلف الحديث ومشكله (للشافعي وابن قتيبة والطحاوي) .
- وكتاب الجورقاني (الأباطيل والمناكير) ، و(الموضوعات) و(العلل المتناهية) لابن الجوزي وبقية كتب الموضوعات المتأخرة .

٥- كتب أوصاف الحديث بما قد تعين على الحكم ، من مثل :

- كتب الغرائب : كمسند البزار ومعجمي الطبراني الأوسط والصغير ، والغرائب والأفراد للدارقطني ، وعموم كتب الأمالي والفوائد .
- كتب العوالي .
- كتب رواية الأقران .
- كتب رواية الأكابر عن الأصاغر .
- كتب رواية الأبناء عن الآباء عن الأجداد .
- كتب المسلسلات .

٦- كتب التخريج : فهي مختصة بعزو الحديث إلى مصادره المسندة ، مع الحكم عليه كثيرا .

وكتب التخريج كثيرة ، فمنها :

- كتب تخريج أحاديث الأحكام : كالتحقيق لابن الجوزي ، ونصب الراية للزيلعي ، والبدر المنير لابن الملقن ، والتمييز في تلخيص تخريج أحاديث كتاب الوجيز (المعروف بالتلخيص الحبير) لابن حجر .

  ويدخل في هذا القسم : كتب التعقب على تخريج أحاديث الأحكام : كـ(بيان الوهم والإيهام) لابن القطان الفاسي ، وبُغية النُّقاد والنَّقَلة فيما أخلَّ به كتاب "البيان" وأغفله أو ألمَّ به فما تَـمَّـمَه ولا كَمَّلَه لابن المواق ، ونقد الإمام الذهبي لبيان الوهم والإيهام ، و(تنقيح التحقيق) لابن عبد الهادي .

- وتخريج كتب التفسير : كتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ، والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر .

- وتخريج كتب الأذكار : كنتائج الأفكار لابن حجر .

- وتخريج كتب الأصول : كتحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب لابن كثير ، والمعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر للزركشي، وتخريج أحاديث المنهاج للحافظ زين الدين العراقي ، وموافقة الخبر الخبر لابن حجر.

○ وتخريج كتب التصوف : كالمغني عن حمل الأسفار في الأسفار للعراقي ، في تخريج كتاب (إحياء علوم) الدين للغزالي . وعواطف اللطائف من أحاديث عوارف المعارف : لأبي الفيض الغُماري ، في تخريج كتاب (عوارف المعارف) لشهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي .

***

- باعتبار إسنادها وحذف الإسناد ، ويمكن تسمية هذين القسمين : الأول : بكتب الرواية ، والثاني : بكتب العزو والدِّلالة :

١- كتب الرواية : وهي الكتب المسندة ، وتنقسم قسمين : أصول ، وفروع ، وهو تقسيم في غالبه نسبي يختلف بحسب سياق ذكر الكتاب مع غيره من الكتب .

○ والأصل هو كل كتاب اجتمع فيه (بالنسبة لغيره) وصفان : هما القِدَمُ والأهمية: وعلى رأس الأصول (الأمهات الست) وكتب أصحابها الملحقة بها (مما خدمها المزي في تحفة الأشراف) ، والكتب الإحدى عشر التي خُدمت في (إتحاف المهرة) لابن حجر ، وتليها الكتب الزائدة على هذه من الكتب التي خدمها الهيثمي في (مجمع لزوائد) والبوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة) .

○ والفرع هو كل كتاب نقص فيه (بالنسبة إلى غيره) وصفا القدمِ والأهمية : ككتاب (شرح السنة) للبغوي بالنسبة للأمهات التسع ، وصحيفة همام (رغم تقدمها) بالنسبة (لصحيح البخاري) في جلالته . وكتاب (السنن الكبرى)

للبيهقي كاد أن يلحق الأصول لعظيم أهميته وجلالته ، لولا تأخر زمنه عن كتب الأصول .

٢- وكتب العزو والدِّلالة : هي التي حذفت الإسناد واكتفت بالدلالة على من خَرَّج الحديث بالإسناد : كالجموع المتأخرة ، والمختصرات ، والزوائد ، والأطراف ، والتخريج.

***

فلنحصر من خلال العرض السابق أهم ألقاب وجوه التصنيف :

- النسخ الحديثية .
- الأجزاء الحديثية (تتميز بالصغر وبالوحدة الموضوعية) .
- الموطآت .
- الجوامع (للحديث والأثر) .
- المصنفات .
- المسانيد .
- الجوامع (لأبواب العلم) .
- السنن (المعتنية بأحاديث الأحكام) .
- الصحاح .

- المستخرجات .

- المستدركات .

- كتب الفنون المسندة : كتب الفقه ، والتفسير ، والتاريخ ، والأدب ، ونحوها .

- كتب الوحدة الموضوعية المسندة : وتتميز عن الأجزاء بتوسعها ونيلها حظا من الاستيعاب : وهي تشمل عامة العلوم والمعارف الإسلامية : في العقائد (عامة ، أو خاصة بالردود ، أو بالأسماء والصفات أو بالإيمان ، أو بالقدر ، أو بالغيبيات من علامات الساعة وعذاب القبر والبعث والنشور وأهوال القيامة وصفة الجنة والنار)، وفي التفسير ، وعلوم القرآن (كالنسخ وأسباب النزول ، والوقف والابتداء ، وآداب حملة القرآن) ، والأحكام الخاصة ، والزهد ، والآداب والأخلاق، والترغيب والترهيب ، والأدعية والأذكار ، والسيرة النبوية ، والشمائل النبوية ، ودلائل النبوة ، والفضائل (للأشخاص أو القبائل أو الشعوب أو البلدان) ، وأصول الفقه المسندة (كالرسالة للشافعي ، والإحكام لابن حزم ، والمدخل إلى كتاب السنن للبيهقي والفقيه والمتفقه للخطيب) ، وكتب الأدب والشعر.

وكتب علوم الحديث تدخل في هذا القسم (وهي كثيرة الفروع) : ويدخل فيها كتب المسلسلات ، والأحاديث القدسية ، والعوالي ، والأقران ، ورواية الأكابر عن الصغائر ، والختوم ، والافتتاحيات ، والأوائل ، وغير ذلك .

- الأمالي .

- الفوائد .

- الأربعينيات .

- الغرائب والأفراد .

- الموضوعات .

- الأحاديث الضعيفة .

- العلل .

- المدرج .

- مختلف الحديث ومشكله .

- معاجم الصحابة ومعرفتهم .

- التراجم المسندة : ككتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ، والتواريخ العامة المسندة (كالتاريخ الكبير للبخاري ولابن أبي خيثمة وأنساب الأشرف للبلاذري إلى تهذيب الكمال للمزي وسير أعلام النبلاء للذهبي) ، وكتب الضعفاء الموسّعة ، والتواريخ البلدانية ، والتراجم المختصة (كحلية الأولياء لأبي نعيم وسير السلف الصالحين لأبي القاسم التيمي) ، وكتب المؤتلف والمختلف والمتشابه والمتفق والمفترق .

- المشيخات ومعاجم الشيوخ والأثبات والفهارس والبرامج .

- الأطراف .

- الزوائد .

- الجموع والمختصرات المحذوفة الأسانيد .

- كتب الأحاديث المشتهرة على الألسن .

- التخريج .

أ.د الشريف حاتم بن عارف العوني